تضامن أهل القرية

انتـــــاج كتـابـــــــي

هِيَ قَرْيَةٌ بَسِيطَةٌ تَقَعُ فِي مِنْطَقَةٍ نَائِيةٍ وَقَدْ خَيَّمَ عَلَيْهَا سُكُونٌ مُخِيفٌ . وَسُكَّانُ هَذِهِ القَرْيَةِ يَعْتَمِدُونَ فِي حَيَاتِهِمْ عَلَى الفِلاَحَةِ فَيزْرَعُونَ وَيحْصُدُونَ بِطَرِيقَةٍ بِدَائِيَّةٍ . أمَّا الأطْفَالُ فَكَانُوا يَقْطَعُونَ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةٍ للذَّهَابِ إلَى المَدْرَسَةِ البَعِيدَةِ ، لاَ يَمْنَعُهُم بَرْدٌ وَلاَ مَطَرٌ وَلاَ حَرٌّ .

فِي أحَدِ أيَّامِ العُطْلَةِ المَدْرَسيَّةِ اجْتَمَعَ شَبَابُ القَرْيَةِ مِنْ مُهَنْدِسِينَ وَبنَّائِينَ وَمُعَلِّمِينَ . وَكَوَّنُوا جَمْعيَّةً سَمُّوهَا " جَمْعِيَّةُ قَرْيَتي الجَمِيلَةَ " تَهْدِفُ إلَى تَحْسِينِ أحْوَال القَرْيَةِ . تَرَأسَ هَذِهِ الجَمْعيَّةَ أحدُ المُهَنْدِسِينَ الفِلاَحِيينَ النَشِيطِينَ . شَكَرَ أصْدِقَاءَهُ وَقَالَ لَهُمْ : " عَلَيْنَا أن نَتَعَاوَنَ وَنَتَضَامَنَ لِنَجْعَلَ أرْضَ قَرْيتِنَا جَنَّةً .

لَمْ يَمُرَّ أسْبُوعٌ حَتَّى أقْبَلَ إلَى القَرْيَة مُهَنْدِسُونَ وَفَنّيُونَ قَضُوا يَوْمًا كَامِلاً فِي القَرْيَة ، ثُمَّ أخَذُوا عَيّنَاتٍ مِنَ التُّرْبَة وَضَعُوهَا فِي أكْيَاسٍ صَغِيرَةٍ وَ أخَذُوهَا مَعَهُمْ . وَمَا هِيَ إلاّ أيَّام حَتَّى عَادَ رَئيسُ الجَمْعيَّة وَبشَّرَهُمْ بأنَّ أرْضَهُم غَنيّةٌ جدًّا تَسْتَطِيعُ أنْ تُنْتِجَ الفَوَاكِهَ وَالغِلاَلَ المُخْتَلفَةَ ، وَعَلَيْهِمْ أنْ يَتَآزَرُوا وَيتَعَاوَنُوا لِخِدْمَةِ أرْضِهِمْ بِطَرِيقَة جَدِيدَةٍ .

www.najahni.tn

وَلَمْ ينْتَه الشَّهْر حَتّى أقْبَلَتْ الآلاَت المَاسِحَة وَالعَرَبَات المَجْرُورَة . وَجَاءَ الفَنّيُونَ وَنَصَبُوا الخيَام ، وَبَدَأت الأعْمَال وَسَارَت حَثِيثَة ، هَذَا يقْتَلِعُ الصُّخُورَ ، وَذاَكَ يُكَدِّسُهَا ، وَثَالِثٌ يُسَوّي الأرْضَ . كَانَ الجَمِيعُ يُسَاهِمُ بِقُوّةٍ وَاسْتَمَرَّتْ الأشْغَالُ أكْثرَ مِنْ سِتَّةِ أشْهُرٍ بِلاَ كَلَلٍ وَلاَ مَلَلٍ .

كَانَ وَجْهُ الأرْضِ يَوْمًا بَعْد يَوْمٍ . وَبَدَأتْ فِي الاتّسَاعِ وَالانْبِسَاط وَلَم تَبْقَى إلاَّ صَخْرَةٌ ضَخْمَةٌ أقْلَقَتْ أحَدَ المُهَنْدِسِينَ لَكِنَّهُ وَعَدَ أهْلَ القَرْيَة بِاقتِلاَعِهَا .

مَا إنْ طَلَعَ الفَجْرُ ، حَتَّى كَانَ الجَمِيعُ عِنْدَ الصّخْرَة ، فَتَوَقَّفَتْ الآلاَتُ وَالجَرَّارَاتُ وَابْتَهَلَ الجَمِيعُ إلَى الله تَعَالَى طَالِبِينَ العَوْنَ وَالتَّوْفِيقَ ، ثُمَّ قَامَ المُهنْدِسُ وَقَالَ : " يَا شَبَابُ ، لَقَدْ شَارَكْتُمْ بِقُوَّةٍ لتُغَيّرُوا وَجْهَ القَرْيَة . ولَمْ تَبْقَى إلاَّ هَذه الصَّخْرَةَ وَعَلَيْنَا أنْ نَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا ." انْطَلَقَ فَرِيقٌ في الحَفْرِ ، وَرُبطَتْ سَلاَسل حَدِيدِيّة غَلِيظَة حَوْلَ الصَّخْرَة ثُمَّ شُدَّتْ إلَى الجَرَّارَات . كَانَ المَشْهَدُ مُؤَثّرًا وَمُحَمِّسًا ، ظَهَرَ فِيهِ التَّعَاوُنُ فِي أبْهَى صُورَةٍ .

تَحَرَّكَتْ الجَرَّارَاتُ ، وَبَدَأ الجَمِيعُ يَدْفَعُ الصَّخْرَةَ صَائحِينَ : "يَا الله ، أعِنَّا يَا رَبَّنَا " تَزَحْزَحَت الصَّخْرَةُ مِنْ مَكَانِهَا ، وَعِنْدَهَا عَلاَ صيَاحٌ : " المَاء ! المَاء ! "عَمَّتْ الفَرْحَةُ وَازْدَادَ العَمَلُ نَشَاطًا ، وَأصْبَحَت الأرْضُ مُنْبَسطَةً تَمَامًا .

وَفِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ ، اسْتَعَدَّت القَرْيَةُ للتَّدْشِينِ ، وَخَرَجَ السُّكّانُ مُعَبّرينَ عَنْ فَرْحَتِهِمْ تَتَقَدَّمُهُمْ جَمْعِيَّةُ قَرْيَتِي الجَمِيلَة " التِي بَعَثَتْ الحَيَاةَ فِي قَرْيَتِهِمْ .

www.najahni.tn